زهرة الأدب

تأليف

محمد الطيبي الطيبي عامر

الطالب بمدرسة المنصورة الثانوية الأميرية

العنوان : بالبجلات — دقهلية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

obeikandi.com

obeikandl.com

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأستاذ الكبير أحمد حسين زعيم مصر الفتاة ؛ وزعيم الجيل الجديد...

إلى الأستاذ الجليل أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر الشريف.

إلى المجاهد الوطنى الأستاذ محمود المليجى المحامى.

إلى روح الدكتور مصطفى الوكيل ، وإلى أرواح الشهداء.

أهدى زهرة ربيعى.

محمد المليجى المليجى براعم

« البجلات » بمدرسة المنصورة الثانوية الأميرية

obeikandl.com

صورة المؤلف

تصدير

بقلم الأديب الكبير أستاذي الجليل

الشيخ أحمد الشرباصي

طريق الأدب طريق طويل ، محفوف بالأشواك والعقبات ، مليء بالصعاب والمشقات ، يحتاج تعبيده وبلوغ الغاية فيه إلى السهر الدائب والكفاح المستمر ، والحرص على التزود من المعرفة والثقافة والفكر بأية وسيلة تعرض للأديب ، من القراءة والكتابة والاستماع والمحاورة ، والمقارنة والنقد . ولكن المشقة فيه مشقة جميلة لذيذة محبوبة ، والمجهود الذى يبذل فى سبيل الإنتاج الأدبى والإبداع الفكرى مجهود محبوب مرموق ، مهما كان فيه من العنف والقسوة ، والألم والشدة ... ومن ذا الذى لا يسر ولا يفرح وهو يسامر أبكار المعانى وخرائد الأفكار وعرائس الأدب ؟ ! ..

وكثيرا ما رأينا الأديب يبدأ السير فى الطريق وهو غض

الإهاب ناضر الشباب ، ينظر أمامه فيرى الغاية مبهمة ، والوسيلة معدومة ، والغرض غير محدد ، والزاد غير ميسور ، ثم يواصل الأديب الجهاد بعد الجهاد ، ويدأب على المحاولة بعد المحاولة ، حتى يستوى على الجادة ، ويأتى بالمطرب المعجب ، بعد أن كان فى نظر الناس لاهيا لاعبا ...!

ولازلت أذكر أول عهدى بالأدب ، وأول خطوة خطوتها فى هذا الميدان ، فلقد كنت يومها قليل الحول والطول ، أقرأ فلا أفهم ، وأكتب فيأتى ما أكتبه سخفا وهراء وشيئا مضحكا ، وأنقد أو أحاول أن أنقد ما أمامى فلا أستطيع السداد ... ومازلت أعمل وأعمل ، وأستهدى وأسترشد ، وأستعين بصحبى وكتبى ، وبالصفوة من أساتذتى والسابقين لى حتى استطعت على الأقل أن أعرف لى سبيلا ، وأن أحدد لى غرضا ، وأن أكون فكرة واضحة ليس هنا مجال بسطها أو الإفاضة فيها ! ..

وهكذا كل شىء فى الوجود ، يبدأ قليلا ضئيلا ، ثم تمده

الحياة بالروافد والموارد ، وتعينه بالمناهل والمنابع ، حتى يبلغ أمده ، ويصل إلى أقصى ماقدر له فى الحياة ، مادام آخذا سبيله إلى الزيادة والنماء ، وصدق الذى يقول :

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

* * *

لقد قدمت هذه اللمحة بين يدى هذا التصدير ، لكى تكون أيها القارىء على بصيرة حينما تتناول هذا المجهود الأدبى الأول ، لذلك الشاب الناهض الوثاب ، الذى لايزال فى أول عهده بالشباب ، والذى اختار الأدب سلوة ومتعة ، وكتب هذه القصة الخفيفة اللطيفة وهو تلميذ ناشىء فى مدرسة ثانوية ، ونشأ فى قريتنا « البجلات » الجميلة الهادئة التى تزدان بشجيراتها الصغيرة المحيطة بها ، ومن هنا جاء اسمها فالبجلة فى اللغة هى الشجرة الصغيرة ، والبجلات جمع بجلة ، ولقريتنا « البجلات » من اسمها نصيب ، فهى روضة من رياض الشعر والخيال بمديرية الدقهلية الزهراء !!..

إنه شاب صغير السن ريان العود يمتلىء قوة وفتوة ، وشبابا ورجاء ، وأملا وحسن ظن ، وهو يصرف وقته فى المطالعة والتزود من الكتب ، وهو يستنفد أكثر جهوده فى ادخار الروائع من الأشعار والعبارات لتكون له خير زاد فى المستقبل يستعين به على إنشائه وإنتاجه ! ...

ولقد رأى هذا الشاب الأديب أن يقدم إلى هذه القصة لألقى عليها نظرة ، ولأجرى فيها ماتحتاج من ملاحظات أو تهذيبات ، ولقد فعلت ذلك بمقدار ، فلم أمح عمل المؤلف ، بل أردته أن أعطى القارىء لهذه القصة صورة تقريبية عن ثقافة صاحبها ، وما يرجى له من خير فى مستقبل حياته الأدبية إذا واصل العمل والقراءة والتعلم والاسترشاد ! ! .

وليس موقف الأديب المؤلف هنا موقفا يستدعى النقد والاعتراض بل هو فى حاجة إلى التشجيع والمؤازرة ، فلنأخذ بيد ذلك الشاب الناشىء لندله على معالم الطريق ، ولنحذره من معاطب السبيل ،

ولنشده بكل ما استطعنا من معونة وتعضيد ، حتى يبلغ الكتاب أجله ، ويتم المجاهد عمله ؛ ويحقق الآمل أمله ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ! ...

إن الشباب عصب الأمة وأساس نهضتها ، بهم تصول وتجول ، وبعزائمهم تحقق الآمال والأحلام ، فليكن من الكهول لأولئك الشباب معونة وإرشاد ، حتى يترعرع النبت ، ويقوى الغض ، وتطيب الثمار ، ولنفسح الطريق للشبيبة البريئة الطاهرة ، فإن صوتها من وحي الله ، وإن نبراسها من نور السماء !! ...

احمد الشرباصي

المدرس بالأزهر الشريف

الفصل الأول

استيقظت مبكراً كعادتى ، وأديت ما يجب على من فروض بدنية ودينية ، ثم ارتديت حلتى وخرجت قاصداً الحقل ، لأسرى عن نفسى ، ولأمتع الطرف بمحاسن الطبيعة التى تحيى ميت النفوس ، وتبعث الآمال فى نفس البائس ، وبذلك تتجدد العزائم ، وتصير بسمات جذابة على شفتى صاحبها . . . وبينما أنا فى وسط المزارع إذ بعينى ترى قصراً عظيماً على ربوة مرتفعة ، وقد طلى بالأحمر الوهاج ، وعليه لافتة من النحاس مكتوب عليها : «قصر السعادة» لصاحبه أحمد بك الرجل الغنى ، وفى شرقى هذا القصر توجد حديقة غناء فيها من الفواكه والرياحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ! .

وكنت أعرف تاريخ هذا القصر ، وذلك أن أحمد بك كان من أصحاب الثراء والنعمة والسلطان فى القرية ، فأمره نافذ ورأيه مطاع ، ومن يخالفه يشق ويهلك ، وكان لهذا الرجل ولد اسمه

« إسماعيل » وزوجة صالحة اسمها « ثريا » . . تربى إسماعيل فى أعطاف النعيم ، يتقلب فى الحرير والديباج ، ويشم نفحات المسك والعطور ، وكان محبوبا لدى والديه ، فرضى الله عنه ، فعاش هانئا سعيدا ، ولما نما عوده ونضج عقله ذهب به والده إلى المدرسة الابتدائية ، فكان قدوة حسنة لزملائه وعرفوه بالذكاء والنبوغ وأحبه معلموه . ودرج هذا التلميذ النابه على هذا الدرج ، ومن سار على الدرب وصل ، حتى جاء اليوم المهيب المخيف ، يوم الامتحان فى الشهادة الابتدائية ، اليوم الذى تبيض فيه وجوه وتسود وجوه ، فأما من ابيض وجهه فقد أفلح وفاز . ومن اسود وجهه فقد خسر وخاب ، فدخل إسماعيل المدرسة فى ذلك اليوم ثابت الجنان مطمئن الفؤاد ، ونفخ فى البوق ووزعت الأوراق ، وخفقت القلوب ، وبدأ كل منهم يلقى على ورقة الإجابة بما عنده من معلومات ، وخرج التلاميذ بعد انتهاء الوقت ، منهم الضاحك ومنهم الباكى ، ومنهم المنتظر خيراً والمنتظر شراً مستطيراً ، وخرج

إسماعيل منشرح الصدر مبتسم الثغر كأنه قائد انتصر فى ميدان ، ولم لا وقد انتصر على الجهل ذلك العدو المبين، لأن العلم كما عرفته وعرفتيه والدى من الصغر تاج على رؤوس المتعلمين ، وحلية الإنسان يجعله كريما بين قومه ، عزيزاً لدى مواطنيه !

ظهرت نتيجة الامتحان ، فأسفر وجه إسماعيل وأشرق ، لأنه نجح نجاحا باهرا ، وعم العائلة الفرح لنجاحه وفوزه، وكادت والدته تطير من فرحتها به ، ولا عجب، فالأمهات قلوبهن رقيقة ، وعواطفهن كريمة فياضة .

الفصل الثانى

مضت أيام تلو أخرى ، والكل فى فرح دائم وصفو مستمر، كلهم يضحك ملء شدقيه ، وينامون مستريحى البال نوما هادئا ، تتطاير فيه الأحلام الجميلة حول أسرتهم تطاير الحمائم البيضاء حول المروج الخضراء ، ولكن الأيام لا تستقر على حال ، وقلما تجد أناسا يحبون المصلحة العامة ، إذ كثر لهذه العائلة من يحسدها ،

ومن يتألم لمنظر هذه النعم التى ينعم الله بها على من يشاء من عباده المتقين الصالحين ! . . .

واتجهت العيون تصوب سهامها نحو هذا الشاب البرىء ، فحقدت عليه وحسدته ، وفى ذات يوم جاء إسماعيل من الخارج فزعا يقول : دثرونى دثرونى ! وينتفض انتفاضة المحموم ، ثم صرخ صرخة مدوية اهتزت لها راسيات الجبال ، واشتكى ألما فى جسمه ، وصداعا فى رأسه ، ورعدة فى مفاصله ، وخيل إليه أن الأرض تدور به فما تكاد تحمله ، وارتمى على الفراش مستسلما للمقادير ، ينتظر رحمة الله العلى القدير ! ! . .

حزنت أمه حزنا شديدا عندما رأته فريسة لذلك الداء العياء ، وذلك شأن كل من يحمل بين جنبيه قلبا كقلب الأم ، وفؤادا حنونا كفؤادها ، تلك الأم التى تذوق عناء الحمل تسعة أشهر طوال ، وهى تقابل الآلام بصدر رحب ونفس راضية مطمئنة ، ثم تكون عندما يجيئها المخاض قاب قوسين أو أدنى من الموت

والهلاك ، ولكنها تعلل نفسها بمولودها السعيد حتى تنسى الأحزان والآلام ! ! .

سخر القدر الجبار بهذه الأسرة التعسة ، وكشر لها عن أنيابه السوداء : ومرضت الأم فاشتد عليها المرض ، وأصبحت على قيد خطوات من الموت ، كل يوم يتمثل أمامها ملك الموت بوجهه الرهيب يخيل إليها أنه يريد أن يعجل بها إلى عالم الأرواح .

فلما أدركت أنها ستنتقل إلى دار البقاء طلبت أن ترى ابنها لتودعه الوداع الأخير ، فعندما رأته بكت بكاء شديدا ، بكت لأجله الجبال العاتية ، ثم ملكت زمام نفسها وقالت لولدها : اسمع يابنى . ولا تضيع ماتسمع منى ، فإنها الموعظة الكبرى التى ليست بعدها منى لك مواعظ ، فطوبى لواعيها والعامل بها ، وهى : « إذا شفاك الله عز وجل فيجب عليك أن تسير فى الطريق المستقيم ، وأن تعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، وتعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ... إياك أن تترك الفضيلة ، وإياك أن تقرب

الرذيلة . فالدنيا دنيئة لا قيمة لها ، أما الآخرة فطوبى للفائزين فيها ، فيها تتمتع بنعيم الرحمن وتقول : ليتنى عملت من الصالحات أضعاف أضعاف ما عملت . وعليك بالإحسان والعفو ، وخالق الناس بخلق حسن ، ولتعلم يابنى أن الجنة هى دار القرار ، التى لا يحزن من سكنها ، ولا يهرم من دخلها ، ولا يموت من قطنها .. ولتكن خادما وفيا لوطنك ، فاذا ما نقر فى الناقور لإعلاء كلمته فلتكن أول متقدم فى الصفوف ، ولا تبالى بالموت ، فالموت مرة أحسن من حياة مرة ، ولتسر على نهج جنود مصر الفتاة ، ولتقتبس من هدى زعيم الجيل الجديد الأستاذ أحمد حسين الذى يتقدم بتلك القافلة الوطنية المصرية ، الذين عرفوا أن الوطن هو أنا وأنت وهو وهى ، وهو كل تراث الآباء ومجد الأجداد . فعرفوا أنه لا فائدة للحياة بعد هذا وذاك إن لم يكن الوطن مستقلا .. وبذلك تجد حياتهم محفوفة بالمصاعب ، كعيش الأسود تراه محفوفا دائما بالأخطار ! . . . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا

بل أحياء عند ربهم يرزقون » . « الجنة تحت ظلال السيوف » . وما نيل عظيم إلا بجسيم . ولتضع قول الأستاذ أحمد حسين نصب عينيك ، ومن جواهر قوله تلك الكلمة التي ما عرضت على ملأ من الكتاب إلا وضعوا أقلامهم أيهم يحملها ، لا أيهم يكفلها ، وهاهي ذي الجملة الصغيرة في ألفاظها وقوافيها العظيمة في معناها ومخوافيها : « إن السجن هو المكان الطبيعي لرجل حر في أمة مضطهدة » . . . وإني الآن أحس بنضوب ماء قلبي وضعف ضرباته ، وآخر دعواتي : اللهم أصلح الأحوال ، وانصر الدين ، وارفع الظلم ؛ ووفق جنود مصر الفتاة ؛ ورئيس مصر الفتاة إلى مصالح الوطن واجعلهم سيف الحق المنتصر ؛ واجعل أحمد حسين خليفة سيف الله المسلول (خالد بن الوليد) لأن كلامه صادر من أعماق قلبه ، بعيد عن الرياء والأغراض النفسية ؛ فهو يصدر قوله عن إخلاص في نضارة وعن كرم في طهارة ! . . . وما قالت الأم ذلك حتى رددت الشهادتين وأحست بدوار جعلها تنام ! . .

الفصل الثالث

بعد أن فضلت الأم لابنها النصح ، وحضته الإرشاد ، هجم الليل بجيوشه السوداء ، فهجع الابن وهو حزين على أمه التى ستوحل بعد قليل ، والجميع فى سبات عميق تحسبهم أيقاظا وهم رقود ، وإذا بملك الموت يطرق الباب لينزع روح الأم ، وليأخذ وديعة رب العالمين ، فجعلت تعالج سكرات الموت فى صراخ وأنين ، فقام الابن مفزوعا وقال : ماذا دهاك يا أماه ، وأى خطب عراك ؟. فقالت الأم : لاشىء يا بنى .. غير أنى تذكرت البعث والنشور ، وتذكرت النعيم الباقى لا هذا العرض الزائل ، وعلمت أن الخلق لم يخلقوا عبثا ، ولن يفنوا أبدا ، فإما خلود فى الجنة ، وإما خلود فى النار :

خلق الناس للبقـــاء فضلت أمة يحسبونهم للنفـــاد
إنما ينقلون من دار أعما ل إلى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجـ سم منها والعيش مثل السهاد !

والآن إنى أرى الموت حقيقة لا خيالا ، فالوداع الوداع ياولدى

وعليك بالنصائح التى سلحتك بها . وعليك بالانقياد والطاعة لذلك الرجل المجاهد الذى سيحرر الشعب من الظلم والطغيان . وهو الأستاذ أحمد حسين كتب له الله النصر ، وأيده بروح من عنده ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله !...

وما كادت هذه الأم الصالحة تتم حديثها حتى صعدت روحها الطاهرة إلى عنان السماء ، ثم إلى دار البقاء ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا !!...

الفصل الرابع

صرخ الولد صرخة اهتزت لها أرجاء المكان ، وحصل تغير شديد فى لونه ، وانفعال فى دمه ، فألقى بنفسه إلى جوار أمه ، ولم يدر بما يجرى حوله ، واستيقظ الوالد على هذه الصرخة فوجد ابنه مغشيا عليه ، فاقد الشعور ، فهاله هذا المنظر المؤلم ، وسرعان ماعلم أن زوجته قد انتهت ورحلت عن هذه الدنيا الفانية ، فعلم أن جيوش الشقاء قد انتصرت ، لأن الزوجة هى الشريك والمعين .

وعند ماذهبت الأم إلى ربها راضية مرضية بدأ الفقر والشقاء يفكران فى الوصول إلى هذا الوطن الحر ، وهذه الأسرة السعيدة ... فقال الرجل : يالله ! رب قادر .. اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه .. وظل يتوجع ويتألم حتى أقبلت جيوش الليل التى تشبه جيوش الاستعمار والطغيان ، وإذا بالابن يثوب إلى رشده ، ويطلب من والده تعجيل الدفن كيلا تشتد الحال ، فخرج الوالد ليشترى لها «كفنا» ، وما سار فى الطريق حتى أظلمت الدنيا فى وجهه ، وسار يتخبط فى مشيته ، ويتعثر فى أذياله ، فاجتمع حوله بعض من الصحب والإخوان ، وسألوه عن الخبر فأنبأهم فشاطروه حزنه ، وبعد قليل ذاع الخبر وشاع ، فأسرعت النساء باكيات صارخات ، وجعلن يأتين أشياء من أمور الجاهلية كالهلع والجزع ولطم الخدود وشق الجيوب ، فقام الابن إليهن ، ومنعهن من ذلك منعاً شديدا لأنه منكر لايرضاه الله ، والله ولى الصابرين ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ... فمنهن من

العظات، ومهين من استمرت فى طريق الخسران !.

وتم تجهيز الراحلة الفقيدة . ثم أركبوها الخشبة التى يركبها المسافر فلا يعود إلى دنياه :

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يوما على آلة حدباء محمول !

وشيعت الجنازة ودفنت الميتة فى رمسها الذى هو : إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ، والذى لا ينفع الإنسان فيه سوى عمله ، فالعمل الصالح أنيس لصاحبه فى قبره ونور ، والعمل الطالح عذاب لصاحبه وظلام ، وانتهت أيام المأتم بأحزانها وأشجانها ، ولم يبق إلا الابن العليل !...

الفصل الخامس

لكل بداية نهاية ، ولكل أجل كتاب ، ولقد أراد الله أن يبدل العسر يسرا ، فكتب للولد البرء من السقم ، وللوالد الصبر والسلوان، فقام الولد ليركض برجله ، وليزيل ما بجسمه من بلاء الداء ، وليودع زمن الشقاء ، فلبس ملابسه السوداء ، وذهب إلى

المقابر ليزور رمس أمه الحبيبة ، ومازال يبحث عنه حتى عثر عليه فمال نحوه يبكيه ، ثم سكن جأشه ، وكمن الحزن فى مكمنه ، فنطق وقال : آه من سفرة بغير إياب ... آه من كثرة ما بى ... آه من حسرة على الأحباب ... ثم فضل أن يقرأ بعضاً من القرآن الكريم ليكون هدية منه إلى روح أمه ، فنعم الهدية الواصلة : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فأدخلوها خالدين ، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » إلخ .

والدتى .. لك الجنة ، فكلى مالذ وطاب ، ومابعد عندك فى الدنيا وغاب . فالدار الآخرة خير للمتقين ..

قدمت عليك اليوم أسوأ مقدم   سواد بأثوابى سواد بخاطرى
على قبرك المرموق أبكى وأرتمى   وأجأر بالشكوى تشق مرائرى
دموع بلاجدوى ، نداء بلاصدى   كذلك حكم الموت حكم الجبابر

مكانك منى فى فؤاد متيم وتفكير ذى فكر ، وتخييل شاعر
عفاء على شعرى وقلبى وخاطرى فقد كنت فى حال فصرت بآخر

وبعد البكاء وتلاوة القرآن رجاء رحمة من الله ورضوان ، وبعد رثائه المهيج للنفوس رجع إلى المنزل بنفس مضطربة وقلب مكلوم ولكنه يتحمل هذا المصاب ، ويتذكر بجواره أن رحمة الله هى التى أنقذته أخيرا فكتب له الشفاء من ذلك الداء العياء .

الفصل السادس

انتهت العطلة الصيفية بخيرها وشرها ، وأقبل العام الدراسى الجديد يبشر بالسرور والهناء ؛ فدخل إسماعيل المدرسة الثانوية وسار بحزم وعزم . ومرت السنوات وهو منتبه لعمله . فائز فى امتحاناته . حتى بلغ السنة الخامسة الثانوية . فكان أول طالب فى فرقته . لا يعادى زملاءه ولا يتكبر عليهم . ولا يباهى بدرجاته العالية ، حتى جاء الامتحان النهائى فكان مرفوع الرأس مطمئنا إلى النجاح ... ومرت الأيام حتى جاء اليوم المحدد لظهور النتائج .

فجلس إسماعيل بجانب المذياع يسمع فإذا رقمه أول الأرقام . وإذا هو أول الناجحين ..

عزم على الالتحاق بكلية الحقوق ، لأنه رأى أن المحامى هو الذى يرفع الظلم عن المظلومين . وهو الذى ينبت الحق من أرض الزور . والمحامى الصادق كشجرة تنبت فى أرض مباركة فتثمر ثمرها ضعفين ...

عرف ذلك لأنه رأى الأستاذ أحمد حسين رجل القانون والعدالة . رجل الحرية والاستقلال . رجل الكفاح والجهاد . فأراد أن ينهج نهجه الكريم . فيقدم نفسه ضحية لوطنه ، وقدم ذلك الاقتراح لوالده فوافق عليه . وعند ما جاء ميعاد افتتاح الجامعة رحل به والده إلى القاهرة . والتحق الوطنى الغيور بمدرسة الحرية بمدرسة الأبرار الذين يأخذون للضعيف من القوى . وكأنهم رسل العدالة جاءت لتدفع الباطل ، ثم أرادت الحكومة أن تقوم ببعثة علمية إلى الخارج . وانتخب هذا الشاب المجاهد على رأس هذه

البعثة ، وتخرج هناك . حيث نال أعلى الدرجات . ولكنه لم ينخدع بالتقاليد الأوربية الفاسدة . واستعمل عقله وحكمه . وأعرض عن السفهاء وإخوان الشياطين . واقتصد فى النفقات . فلم يجعل يده مغلولة إلى عنقه . ولم يبسطها كل البسط ... لذلك نجده تشبع بالطاعة لأنها خير زاد للمسافرين ، وصار يتغنى بهذه الأبيات كلما حن إلى وطنه :

هل الريح إن سارت مشرقة تسرى ... تؤدى تحياتى إلى ساكنى مصر؟
فما خطرت إلا بكيت صبابة ... وحملتها ماضاق عن حمله صدرى
ترانى إذا هبت قبولا بنشرهم ... شممت نسيم المسك فى ذلك النشر
ليال أنسناها على غرة الصبا ... وكان لنا إذا وافقت غرة الدهر!

وأخيراً حاول الرجوع إلى وطنه الذى حن إليه حنين الإبل إلى معاطنها ، وبذل جهده فى ذلك .

الفصل السابع

باع ممتلكاته وودع الصحاب والرفاق . وعاد إلى الديار

المصرية . وعندما نزل بالقاهرة ليركب الترام إلى منزل بعض الأصدقاء فكر فى أن يستقل سيارة أجرة كانت واقفة فى أحد الميادين العامة . فاستقل السيارة وكان بها من الركاب فتاة جميلة رشيقة يبدو عليها الوقار وما هى إلا ابنة أحد الأشراف . ونزل الركاب فى محطة من المحطات ، وأصبحا منفردين فى العربة وراء السائق . فأرسلا لبعضها رسائل من سهام النظر وكوا من النفوس . وهى فتاة ساحرة تخلب الألباب . ذات نظرات غريبة . ألفت الاختلاب منذ عهد بعيد . وما ذلك إلا لأن للعيون سحرا فتانا ، فهى كما قيل كوة تبث منا الفتنة والسحر . فجرى تيار الحب بين القلوب . . .

أرسلت إليه نظرة من عينها المتوقدة كأنها شعاع يطرب قلبه . وينير مقلتيه . وعرفته هذه النظرات أنها تحمل كل العواطف والأخلاق الكريمة فبدا له جمالها رائعا . وكادت هذه النظرات تلتهمه التهام النار للحطب . . . وبعد نظرات تبودلت تجـــاذبا

أطراف الحديث . فعرفا أنهما نشآ نشأة واحدة . وامتهنا مهنة واحدة . وتعاهدا على الزواج ! . . وأجابته بأن الله الذى خلق الزهرة وأودعها العطر . والجسم وأودعه الروح . قد خلق القلب وأودعه الحب . . فالحب هو ثورة على الفساد . وسبب الإسعاد ومفتاح الزواج ومثبت دعائمه فى النفوس . وهو الذى حمل (عروة) راعى الغنم فى الصحراء على الرحيل إلى حبيبته (عفراء) وهو الذى حمل (زليخا) على قطع يدها حينما رأت يوسف عليه السلام . وهو الذى حمل نبى الله سليمان عليه السلام على أن يقيم صرحا ممرداً من قوارير ليكشف عن ساق بلقيس . . . وقالت الفتاة : إننا سنسير نحو المجد إن شاء الله . لأننا أهل القانون . والمحاماة كما يقال ، كماء ينزل على أرض مجدبة فيخصبها فتعطى ما كنها ثمارها على كل لون حسب ما يرغبون ، بل كنور انبلج من السماء فى ليل مدلهم بظلماته . فلا ترى حينئذ إلا نفوسا قد انبعثت من أصفاد الظلم وفرت من قبور الطغيان تنادى بأعلى صوتها : عاشت المحاماة !

وأخيرا انتهيا على الزواج تحت استشارة والدهما . وقاربت السيارة مدينة الخطيبة الصالحة فاستعدا للنزول . ولما وقفت نزلا ورليا وجههما شطر منزلها ! . . وبعد دقائق معدودات انتهى بهما المسير إلى المنزل المطلوب حيث استأذنا . ودخلا حجرة ذات كراسى مبسوطة وأرائك مصفوفة ، وبها صور جميلة المنظر تستهوى القلوب . ومباخر قد وضع فيها المسك والعنبر والأزهار وغير ذلك للترفيه عن الزوار والجلوس ! .

وبعد برهة وجيزة جاء والد الفتاة مشرق الوجه منشرح الصدر لعودتها بسلام ، فسلم عليها وضمها إلى صدره وقبلها من فمها ، ثم اتجه إلى الشاب وسلم عليه تسليم الأب لابنه ، ثم جلسوا جميعا يطلبون الراحة . وبعد أن استمتعا بالراحة جزءا يسيرا دخل الخادم ومعه المياه الغازية المرطبة ، فتناولوا المثلجات جميعا ، لكى تثلج صدورهم وتريح جسومهم ، وبعد برهة دعاهما الوالد لتناول الطعام ، فقاما إلى حجرة المائدة ، تلك الحجرة التى بها من المناظر

ما ينفس عن المحزون كربه ، ويفتح النفوس لتناول الطعام .

تناولوا الطعام هنيئا ، وشربوا مريئا ، ثم رجعوا إلى حجرة الاستقبال حيث شربوا الشاى ، وأخذ الوالد يقص عليهم بعض القصص المشجعة ، كقصص تاريخ الأستاذ أحمد حسين المحامى رئيس حزب مصر الفتاة ، لأنه القاذف بنفسه الشريفة فى مواطن العطب وأماكن التلف ؛ وما ذلك إلا لأنه نشأ على حب الوطن والسير فى طريق المجد ؛ فدعا له الجميع بالنصر المبين .. وهتفوا : الله أكبر والمجد لمصر ! ... وقال إسماعيل :

والله لقد نصحتنى والدتى رحمها الله فقالت إنه رجل الوطنية وقلب الأمة ولسانها المعبر عن أحوالها ، وهو الرجل الذى يحب أن يعيش ليرى مصر سيدة لا مسودة ، ورئيسة لا مرؤوسة . ولقد رجا الله أن يؤيده بنصره ؛ ويرسل له ملائكة تساعده ! ...

وبعد تداول الحديث سأل الأب ضيفه الكريم عن تاريخه ، فأجابه بكل أدب واحترام عن مراحل حياته ؛ وقال إنى أخاطبك

بالإشارة وكل لبيب بالإشارة يفهم فأقول :

إني رأيت فتاة في محاسنها ... تفوق بدر الدجى والبدر يحكيها
لها أب صالح في الناس ذو حسب ... كذاك أم إلى الإحسان تهديها
فنشأها على الأخلاق من صغر ... وربياها ورب العرش حاميها!

ففهم الوالد ما يريد ، وبعد محاورة وافق على عقد العقد ؛ وتم ذلك بعد أيام قلائل ، واعتزم العروسان السفر إلى بلد الزوج ! ..

الفصل الثامن

فلنعد بك أيها القارىء العزيز إلى أحمد بك والد إسماعيل ، فإنه عندما عاد إلى القاهرة اجتمع حوله بعض الشيوخ المفسدين ، الذين أقصوا عنه كل ناصح أمين ، وزينوا له الزنا والفجور ، والخمر والمجون ، وأن الحياة لا قيمة لها إلا باللذات والتوبة بعد ذلك تمحو كل شيء ، فآمن المسكين بهذه النظرية ، فيا للأسى ويا للحزن على خسران هذا الرجل في دنياه وأخراه !... وذلك هو الخسران المبين.. لقد استعدوا للقيام بجولة في ربوع جهنم فابتدأوها

بالزنا ، وذهبوا إلى بيوت الدعارة تلك البيوت النجسة التى سيخلد أصحابها فى النار ! .

هناك نجد نساء لبس الشفاف من الثياب ، لتغرى الشباب الطائش والشيوخ العصاة ، فدخلوا تلك البيوت القذرة بعد أن أغرتهم اللذة الشيطانية ، وجلس كل منهم مع المرأة التى اختارها بين الكاس والطاس ، فلا يسمع لها إلا آهات وأنات وضحك ومجون ، وتقبيل وضم ، يخر له العصاة سجـــداً إلى الأذقان ، وتساعدهم الحكومة على ذلك ! . . يا للأسف الذى يساور نفسى صباح مساء ، وهذا السؤال الذى حيرنى منذ السنين الماضية وهو سؤال يسير لكنى عجزت عن إجابته إلى الآن. لأنى رأيت الهدى فى الشك والشك لا يهدى ! . .

هل الإسلام هو دين الدولة الحقيق ، أو دينها هو التبرج والسفور والسير فى هذه الطرق الفاسدة ؟ . . لقد زجرنى زاجر نفسى عندما قلت : إن دينها غير دين الإسلام مادامت على هذا

الضلال : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » !.

مادام الإسلام هو ديننا ومليكنا المفدى المعظم وحكومتنا كلها على دين الإسلام فلماذا تحارب الحكومة دستور الله الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ، تنزيل من عزيز حميد ؟. وكأنى بمتلفسف يقول وكيف تحارب الحكومة دستورها القديم ؟ فجوابى أن الحكومة فرضت ضرائب على البغاء تدفعها المومسات ، وجعلت لهن طبيبا خاصا ، فهذا دليل الرضى والتسليم . ولماذا لا تضرب الحكومة بيد من حديد على هذه المنكرات ، وتشجع الزواج وتحارب العزوبة ، ولماذا لا تفتح الحكومة مصانع لهؤلاء العاهرات يجدن فيها العمل والمال ؟ . واحـــر قلباه منك يا مصر ! أيهيم الوطنيون مشردين فى الأرض بينما يتمتع الفجار بكل أنواع النعيم ؟!

عاد أحمد بك الفاجر ومن معه من العصاة جنود الشيطان :

وأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم كباطل من جلال الحق منهزم!

وساروا خطوتهم الثانية يقودهم الشيطان إلى الموائد السوداء ،

موائد الميسر والقمار التي كتب على أصحابها الذل والخسار ، فخدعوه حتى سلبوا منه ما معه ، وقام أحمد وهو ينظر إلى ماله فيجده قد انتهى أو كاد ، وصدق الشاعر :

لكل نقيصة في الناس عار وشر معايب المرء القمار
هو الداء الذي لا برء منه وليس لذنب صاحبه اعتبار

ويقول الله تبارك وتعالى في قرآنه الحكيم وتنزيله المبين :

« يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما ، ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » . ويقول عز شأنه وجل سلطانه : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان ، فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ، وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فإن توليتم فاعلموا أنما

على رسولنا البلاغ المبين» ... ولكن لمن تقول هذا القول ياسيدى والحكومة المصرية التى تدين بدين الإســـلام تشجع ما حرم الله ؛ ولذلك عند ما قام حزب مصر الفتاة ورئيس حزب مصر الفتاة الأستاذ أحمد حسين لينقذ المجتمع من براثن هذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة لم يجد من تشجيع الحكومة له إلا السجن والتهديد والاتهام والتشديد .. ويعلم الله أنه مازال مخلصا لدينه ولله والوطن والملك ؛ أليس مثل هذا الرجل العظيم جديراً بأن يكون زعيما للجيل الجديد ؛ إى وربى إنه لجدير ؛ ولكنه يكره الزعامة ويبالغ فى التواضع ؛ ولقد قال حفظه الله فى بعض كلماته : « ما جئت إلى هذا البلد كى أكون زعيما أو سيدا فيها ، ولكن لأكون ضحية من ضحايا مجدها ورفاهية شعبها » ! . . الله أكبر الله أكبر والمجد لمصر ! . .

يأيها الشباب ... إننى أحيطكم علما بقيمتكم عند الأستاذ الرئيس فى كلمات له نكتفى منها باليسير حتى نعرف كنه نفسه : « الشباب

اليوم هو كل شيء . ولا نجاة لمصر إلا أن تسلم مقاليدها للشباب والشباب وحده هو الذى لم تلوثه المطامع والشهوات ، وهو وحده الذى يرغب فى الجهاد من أجل الجهاد ، وهو وحده الذى يموت سعيدا مادامت آخر كلماته : المجد لمصر ! » .. « هذا ما ندعو الشباب إليه . ندعوه للجهاد ، الجهاد المتواصل العنيف ، دون أن نعدهم بشيء . دون أن نغريهم بشيء حتى ولا بالنجاح ، حتى ولا شرف التضحية ... إن الواحد منا قد يضحى فيستهجن الناس تضحيته ولا يعرفونها ، ويأخذونها مطعنا جديدا يطعنونه بها ، هذه هى التضحية التى نريدها ، نريد تضحية مخلصة صادقة ، لا تضحية يعقبها التهليل والتصفيق ، ونريد عملا إيجابيا ، نريد عملا فى كل دقيقة ، بل فى كل لحظة » !!...

هذا هو الزعيم الحق ، زعيم الشباب ، جندى الوطن . ولنترك تقديركم أيها الشباب لذلكم المجاهد الحر الشريف ، ولتقدروا أعماله أمام أقواله ، ولنعد بكم إلى والد إسماعيل ، فقد خسر كل شيء ،

وصار يبحث عن القوت فلا يجده ، ولقى كثيرا من الآلام حتى أصبح نضوا هزيلا شاحبا ، وذلك جزاء المسرفين ! ..

الفصل التاسع

ركب العروسان القطار حتى نزلا بمحطة بلد الزوج ، وإسماعيل لا يعرف ما فعله القضاء والشقاء بوالده ، فسارا فى الطريق الموصل إلى منزله وهو يشاهد مظاهر التغير والتبدل فى بلدته فاشتغل عقله تفكيرا ، ثم شاهد منزلهم وقد صار نخما فتقدم وضغط على الجرس فخرج فى الحال شاب صغير ووراءه فتاة حسناء تلبس الحرير ، فرحبت به ثم قالت : تفضل أى الفتيات الجالسات هاهنا تريد ؟! .. فدهش وسأل عن حقيقة المنزل فعلم منها أن والده إسماعيل تصادق مع الموسمات وأصبح لهن خليلا ، وفى يوم من الأيام عرضت الموسمات عليه أن يؤجر لهن منزله فقبل ، فى نظير أجر شهرى قدره خمسة جنيهات ، وأخبرته أن والده يفسق معهن كل ليلة ويلعب القمار ويشرب الخمر ؛ وصار يفعل ذلك حتى كثرت عليه

الديون فانتزع الدائنون منه هذا البيت وحولوه إلى ماخور للمجون وسموه « بار السعادة » بدل « قصر السعادة » !..

وهكذا يكون الجزاء لمن أسرف وطغى ، وتكبر وبغى ، وحاد عن الطريق القويم ، وأعرض عن الذكر الحكيم ، واستجاب للشهوات ، وخضع للذات ، إنه يغتر فى أول الأمر بماله وجاهه ، وعزه وسلطانه ، وصحته وشبابه ، فيخيل إليه أن هذا كله خالد لا يبيد ولا يفنى ، فيعب من المنكرات عبا ، وينصب فى بحار الهوى انصبابا ، وينكب على المآثم انكبابا ، حتى يفقد صحته ، ويضيع أمواله ، ويذل كرامته ، ويصبح كلا على الناس ، يهينونه بعد أن كانوا يوقرونه ، ويذلونه بعد أن كانوا يعزونه ، وحينئذ يعض بنان الندم ، ويموت من الغيظ والحسرة ، ويتلفت يمينا وشمالا لينظر معينا أو صديقا فلا يجد أحدا من هؤلاء الذين كانوا بالأمر يتمسحون به ويجتمعون حوله ، ويسمعون أمره ويطيعون إشارته ، وفى ذلك عبرة لأولى الألباب ، وتذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع

وهو شهيد ... فليت هذا الشقى المسكين قد اقتصد فى لهوه ، واعتدل فى سيره . واستجاب لأمر ربه ، وأحسن فى أقواله وأعماله واستقام فى جميع أحواله حتى يكون من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه . فالله تبارك وتعالى هو الذى يقول : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون ، نزلا من غفور رحيم . ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعملا صالحا ، وقال إننى من المسلمين » ا .. ويقول الله أيضا : « وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » ...

سمع إسماعيل هذا كله فكاد ينفجر من الغيظ ويقضى على نفسه من الخزى والعار ؛ ولكنه تمالك نفسه وخرج والأسى يحز فى قلبه . ثم رفع نظره إلى السماء . وقال : ربى . الكون ملكك . والحكم حكمك . والقضاء بأمرك . سبحانك فاهدنى إلى سواء السبيل ..

آه يارب السماء والأرض، ارفع عنا عذابك، وأنزل علينا رحمتك فأنت أرحم الراحمين .. آه ليتنى كنت نسيامنسيا .. ما أعجب أمر هذه الدنيا ، إنها كبئر تدلى فيها شخص متعلق بغصنين على سمائه ، فوقعت رجلاه على شيء فى أرض البئر ، فنظر فإذا تنين فاتح فاه ينتظر التهامه عند سقوطه ، فرفع الإنسان رأسه إلى الغصنين فإذا فى أصلهما فأران أحدهما أبيض والآخر أسمر ، وهما دائبان فى قرض الغصنين ، وبينما الإنسان كذلك يفكر فى أمر النجاة إذا به يبصر إلى جانبه خلية فيها عسل فذاق العسل فأعجبه طعمه وأنساه حاله ، حتى قطع الفأران الغصنين فسقط فى فم التنين فمات ... هذا هو مثل المرء فى الحياة ، فالبئر هى الدنيا ، والغصنان هما الأمل والأجل ، والفأران هما الليل والنهار ، وخلية العسل هى لذة الدنيا والتنين هو الموت ! ...

وأخيرا أشارت زوجة إسماعيل عليه بأن يؤجرا لهما منزلا ، ويستوضحا عن والده بواسطة النشرات فى الصحف السيارة ففعل إسماعيل ما أشارت به شريكة حياته المحبوبة ..

الفصل العاشر

وفى ذات يوم دق الباب طارق غريب ، ففتح خادم إسماعيل ، ثم عاد إلى سيده وقال : بالباب رجل غريب يتوكأ على عصاه ، وأمرنى أن أبلغك سلامه ، وأنه يطلب مقابلتك ، وهو يسمى « أحمد » !.. فما سمع إسماعيل هذه الكلمة حتى هب مذعورا وهو يصيح : إنه أبى !.. إنه أبى !.. وعانقه عناقا طويلا وهو يبكى من شدة الفرح الممزوج بالألم ، ثم دخلا فجلسا فى حجرة الجلوس ، وقال إسماعيل : « ياوالدى ، إننى أعرف أن الملائكة قد ركبوا من عقل بلا شهوة ، وركبت البهائم من شهوة بلا عقل ، وركب ابن آدم من كليهما ، فمن غلب عقله على شهوته كاد يكون ملاكا ، ومن غلبت شهوته على عقله كاد يكون بهيمة ! » ..

إنا شربنا كؤوس المر سابغة والآن نجرع فى أفواهنا الهونا

فجمد الرجل فى مكانه ، ثم أخذ يبكى بغزارة ، ويعتذر إلى إسماعيل ابنه ، ثم نطق بأبيات خرجت ممتزجة بقطع من كبده

المتفتت أسفا على ذلك النعيم القديم :

قضاء نافذ فينا جميعا وأمر لن يرد ، ولن يضيعا
فيوم صدوره أمست عيون تسيل دما وترسله دموعا
ودق الرعد ينذر بالبلايا وكاد البرق يقتلع الشموعا !

فتأثر إسماعيل لتأثر والده ، وأنب نفسه على ماحدث منه ، لأنه أساء معاملة والده الذى أكرمه وعلمه ، والذى هو سبب وجوده فى الحياة ، ولكن هناك قوة دفعته إلى ذلك ، ألا وهى قوة الحرية وقوة النفس ، فقال لوالده فى تأثر وتأسف : إنى أعتذر إليك عما بدا منى الآن نحوك ، ولكنها الصراحة والحرية اللتان نشأتنى عليهما من صغرى ، وإن شاء الله سأبذل كل مافى وسعى لاسترجاع ما كان لنا من ممتلكات إن شاء الله ، ولكن هذا سيكون بعد أن أهيىء لى عملا أكتسب منه ، ويجب ياوالدى أن ترجع إلى الله وتتمسك بالدين من الآن حتى يتوب الله عليك توبة نصوحا .

فيجب عليك أن تقيم الصلاة وتحافظ عليها ، لأنها تنهى عن

الفحشاء والمنكر والبغى ، وهى التى تهذب الأخلاق ، وتطهر الأبدان وتسمو بالأرواح ، ويجب عليك أيضا أن تحج إلى بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس فيأتونه دائما من كل فج عميق ، لأن الحج يقف فيه الناس أمام رب العباد خاشعة أبصارهم خائفة نفوسهم من عقاب رب جبار ... الحج فيه يتجلى عدل الله تبارك وتعالى بين خلقه ، فلا فرق فيه بين غنى وفقير ، ...والكل هناك يقف فى منزل الوحى ينادون من صميم قلوبهم : لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد لك والنعمة والملك لا شريك لك لبيك !... كلهم بزى واحد فى صعيد واحد يرجون الرحمة من الله الرحمن الرحيم ولله در الشاعر إذ يقول :

أرض الحجاز جميلة فترابها ... مسك وريح هوائها العطر
نور النبى يضىء فى أرجائها ... وبها الفضائل كلها لاتحصر
من ماء زمزم تشربون شفاءكم ... وترون آيات الخلود تسطر
وترون جمع المسلمين مناديا ... لبيك يا ألله وهو مظفر

فيا والدى العزيز يجب عليك حينما تستقر بنا الأمور أن تسارع فتحج إلى بيت الله الحرام لتعود طاهرا مطهرا ، كما ولدتك أمك ، فتختم حياتك عابدا قانتاً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنوب .

الفصل الحادى عشر

قبل الوالد ذلك ، وعزم على الحج ، وعلى التمسك بالطاعات والفضائل ، وقال : أستغفر الله العظيم . وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، شهادة تائب مستغفر عائد إلى حمى ربه الغفور ، فإنى تبت إليك يا قابل التوبة ويا شديد العقاب :

إلهى عبدك العاصى أتاك ... مقراً بالذنوب وقد دعاك

فان تغفر فأنت لذاك أهل ... وإن تطرد فمن يرحم سواكا ؟!

ثم بكى الرجل من شدة حسرته على ضياع شبابه فى المعاصى ، وتذكر عقاب الله وغضبه ، فندم على ما فرط منه فى جنب الله ، فأنشد يخاطب ربه :

يا ويح من خلى سبيل الهدى   وفاته منك بلوغ المـــرام
فمن أتى حصــــنك آويته   فركنه فى عزة لا يضام

فسر الولد بتوبة والده سروراً كبيراً ، واعتقد أن الله سيقبله ويعفو عنه . لأن أباه كان يتكلم بإخلاص ، والدمع يسيل من عينيه ، والمرء إذا أخلص فى التوبة وعزم عزما أكيداً على عدم الرجوع قبل الله منه هذه التوبة وأدخله فى عباده الصالحين . . .

ثم سأل الوالد ابنه عما حدث له فى الخارج وفى مصر وعن أحوال زوجته فأخبره بكل شيء ، ثم انعقد الحب الخالص بين هؤلاء الثلاثة ، وتم بينهم الوفاق ، وبعد عنهم الشقاق ، وأصبحوا يداً على من سواهم ، وسيفا قاصماً لعداهم ، وما ذلك إلا هدى من الله ورحمة ، هو الذى يقبل التائبين ، ويهدى الضالين ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . . .

* * *

وأخيراً . . . فليعلم القارىء العزيز أن الطاعة خير زاد وأنه

obeikandl.com

التمسك بالفضيلة أحسن عدة وعتاد ، وأن حياة المرء يجب أن يعمرها بالصالحات وحسن الجهاد ، ليعيش بين مواطنيه معززا مكرما ، وليكون له ذكرى حسنة بعد مماته :

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان

وصدق الشاعر الذى يقول :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا إن الحياة عقيدة وجهاد !!

والله أكبر ، والمجد لمصر !...

أكتوبر سنة ١٩٤٦ م محمد المليجى المليجى

الطالب بمدرسة المنصورة الثانوية الأميرية

رثاء الأستاذ محمد العزيب موسى المحامي

إنه نجم أضاء في سماء البجلات فملأها نوراً وضياء، ثم هوى فكان حادثاً أخرس الألسنة وأوجع الأفئدة وأسال الدموع، فلقد كان الفقيد رحمه الله صاحب أخلاق كريمة ونفس عالية، وكان يبرهن في كل أعماله وأقواله على أنه من محتد كريم وأصل نبيل، ولقد دافع في مهنته (المحاماة) عن المظلومين والمهضومين، فكان مثال الرجل العظيم الذي يصدق في قوله ويخلص في عمله، ولا يرضى باطلا في حياته. وكان يمد يد المعونة إلى كثير من الفقراء والبائسين. فرضوان الله عليك أيها الفقيد الراحل، ونعم في جنات الخلد وفراديس النعيم، ألهمنا الله فيك جميل الصبر، وعوض آلك فيك خير العوض، وبارك الله في أبنائك وذريتك ولا حيلة لنا أمام المصاب فيك إلا البكاء والأنين:

إن اليتامى حول قبرك خشع والحفل مما قد دهاه عليل
يا قبر كيف ضممت جسما طاهرا يؤوي الفقير وضيفه مقبول؟

قد كان للمسكين أفضل كافل نعم الكفيل وحبذا المكفول
يا سيدى هذى دموعى قد بدت نظما ، ومالى غير ذلك سبيل !
نم فى فراشك فى الجنان مخلداً وعليك من غيث الخلود سيول !

وكأننى الذى يقول :

لا تنكروا الألمات فى أوتارى لم يبق لى فى العيش من أوطار
ذهب الأحبة بعضهم متعقب بعضا وكان السبق للأخيار
أرزاء دهر شفنى تكرارها أفما بها سأم من التكرار ؟ !

الباكى ذو القلب المكلوم
محمد المليجى المليجى برامة

« البجلات »

رثاء فضيلة الأستاذ الشيخ بيومى محمد الجنابى

إيه يا دنيا ابسمى ، أو فاعبسى لا أرى برقك إلا خلبا !

لقد كان هذا الرجل عالما فاضلا من علماء البجلات الأفاضل تخرج فى كلية الشريعة الإسلامية بالجامع الأزهر الشريف ، ونال العالمية مع إجازة القضاء الشرعى ، ولكنه لم يتمتع بشبابه أو علمه فامتحنه الله بالمرض فصبر صبر المؤمنين ، وجاهد جهاد الموقنين ، وكان معروفاً بنفسه العالية وهمته الوثابة ودفاعه عن الحق وجرأته على أهل الباطل ، وكان لا يخاف فى الله لومة لائم ، ولقد مات فى ريعان الشباب ، تاركا أسرته وأطفاله وأهله فى بكاء وعويل ، وحزن طويل ، ولقد احتفل علماء الأزهر الشريف وطلبته بتأبينه عقيب موته احتفالا رائعا تبارى فيه الخطباء والشعراء ، ومنهم حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة الأجلاء الشيخ محمد محمد فرج الله والشيخ محمد عوض والشيخ أحمد الشرباصى والشيخ ابراهيم رضوان والشيخ محمد الصاوى والشيخ المنسى على محمد والشيخ عبد الحى

متولى وأحمد وأحمد العدوى أفندى وعبد الغنى جمعه أفندى ومحمد أحمد الهجرسى افندى وعبد العزيز حسين افندى وحسن طه أفندى وغيرهم ، فخففوا بذلك المصاب ، وهونوا الآلام ، وإنى لحزين أشد الحزن لفقده ، فقد كنت جاره وعرفت أخباره فسرتنى أخلاقه وأعجبنى أفعاله ، ففى رحمة الله يا شهيد العلم وفقيد العلماء :

وفى أحشاء مصر بدت جراح ... وفى العلماء قد عز المصاب
وضجت روضة العلماء حزنا ... فلا سؤل هناك ولا جواب
ستذكركم رجالات المعالى ... ويشدو باسمكم هذا الشباب

جارك الحزين

« البجلات » محمد المليجى المليجي السيد برامة

رثاء الطالب محمود عزمى حليم

كان هذا الطالب النجيب والتلميذ الوطنى الأديب زميلا لى فى مدرسة المنصورة الثانوية ، وكان معروفا بحبه لوطنه ، ودفاعه عن بلاده ، ولقد اشترك فى المظاهرات الوطنية الرائعة التى قامت بها طلبة المنصورة منادية بالجلاء ووحدة وادى النيل ، وشاء الله العلى الكبير ، الحكيم الخبير أن يجعل من محمود عزمى حليم شهيداً وطنياً فاذا بيد أثيمة تطلق على صدر هذا الشاب المصرى والفتى الوطنى رصاصة تردية قتيلا ، وتنقله من عالم الأحياء إلى عالم البقاء . فثارت الطلاب ثورة شديدة ، وخرجت المنصورة عن بكرة أبيها تشيع ذلك الشهيد الشاب ، وتبكيه بدموع غزار ، ولست أملك الآن له رثاء . ناديت البيان فلم يجبنى ، ودعوت الشعر فلم يسعفنى ، واستغثت بالبلاغة فأعرضت عنى ، فهى غضبى لا تطاوعنى ، ولكنى لما دعوت الدموع سالت ، ولما سألت الحسرات والأنات فاضت وجادت

ونظرت إلى زملائى الطلاب فإذا بهم جميعا سواء فى هذا المصاب ، يسألون الرحمة والرضوان للطالب الشهيد محمود عزمى حليم أفندى وهم يرددون قول الله تبارك وتعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » فانعم ياحليم برضوان الله ورحمته وفردوسه وجنته ، وغدا نلتقى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ...

« البجلات » محمد المليجى المليجى السيد برامة

بمدرسة المنصورة الثانوية الأميرية

يا شباب البجلات !

إنى أوجه إليكم النداء وأنا فرد منكم، أحب الخير لكم وأكره الشر أن يصيبكم ، وأتمنى أن أراكم فى أحسن الأحوال وأسنى المراتب وأعلى المنازل ، وإنكم بحمد الله كثيرون ؛ منكم طلبة الأزهر الشريف والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية ، ومنكم طلبة الجامعتين الفؤادية والفاروقية ، ومنكم طلبة المدارس الثانوية والابتدائية ، وعددكم بحمد الله كثير تبلغون العشرات ،ومع ذلك لا أرى بينكم رابطة تربطكم ، ولا جامعة تجمعكم ، مع أنه يجب عليكم كل الوجوب أن تؤلفوا لكم هيئة تنظم أموركم ، وتجعلكم على اتصال مرتب يفيدكم وينفعكم ، ويوثق الصلات بينكم ؛ فيعود ذلك بالخير العميم والنفع العظيم على أنفسكم وعلى بلدتكم وعلى وطنكم المفدى العزيز . . فمتى تسمعون النداء وتحققون الرجاء وتستجيبون الدعاء يا شباب البجلات ! . . .

إنكم من غير شك تعلمون أن قريتكم هذه خلقها الله لتكون

آمنة مطمئنة ، سعيدة هانئة ، وتكاد تكون البجلات أكبر قرية في مركز دكرنس أو في مديرية الدقهلية ، وهي تمتاز بأن فيها مايقرب من أربعة عشر ألف نسمة ، وتمتاز بموقعها المتوسط ، ومزارعها الناضرة وحقولها الزاهية ، وتحتاج البجلات إلى إصلاح وإرشاد وتعليم ، فيجب أن تنظموا المحاضرات ، وأن تقيموا المناظرات ، وأن تلقوا الخطب التهذيبية في المناسبات اللائقة ، وأن تصلحوا بين المتخاصمين ، وتوفقوا بين المتنافرين ، ويجب عليكم في أثناء العطلة الصيفية أن يكون لكم نادٍ جامع ، يشترك فيه كل طالب وكل تلميذ بلا تفريق أو تمييز ، وهناك داخل هذا النادي العلمي الأدبي الأخلاقي الرياضي يجب أن يتعاون الجميع : (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (واعتصموا بحبل الله جميعا ، ولا تفرقوا) . فيحترم الصغير الكبير ، ويعطف الكبير على الصغير ، ويجب أن يكون في هذا النادي مكتبة يتعاون الجميع في إنشائها وتكوينها وتزويدها بسائر الكتب ومختلف

المؤلفات ، وعندنا بحمد الله من علماء الأزهر الشريف ومن طلبة المعاهد والمدارس من يحوز كتبا كثيرة يجب أن يقدم جزءاً منها لهذه المكتبة ، حتى يتقدم شباب البجلات أدبيا وثقافيا .

ويجب أن يتعاون الشيوخ مع الشباب ، فهؤلاء هم الأبناء ، وأولئك هم الآباء ، ولا بد من التعاون بين أولئك وهؤلاء . فاعملوا يا شباب البجلات ، فالله معكم ما دمتم متحدين متعاونين متكاتفين ، والله ولى العاملين »

« البجلات »

أخوكم

محمد المليجى المليجى السيد

بمدرسة المنصورة الثانوية الأميرية

صوت الشباب

للشاعر الكبير الأستاذ محمود جبر

خل عنك القريض والأشعارا ... واجعل السيف للبلاد شعارا
وامتط الخيل لا متون القوافي ... واطلب المجد للكنانة دارا
فوق عرش المحيط ثأر لمصر ... فاعتل الموج خذ لمصر الثارا
فوق متن الأثير تاج لمصر ... ذلل الريح واركب الأخطارا
رب بان من الحجارة صرحا ... أعجز العلم والزمان اختبارا
جاء أهلوه بالخوارق تترى ... شهد الدهر ما لقينا انتصارا

* * *

مصر سادت كما علمت قديما ... عالم النور رفعة واقتدارا
ساد فرعون بالجيوش شعوبا ... وغزى العرب بالفنون القفارا
علموا الغرب كل فن وعلم ... سبق الغرب وارتدينا العثارا

قد أفقنا من السبات وقمنا هاتفين البدارا هيا البدارا
صغ من الروح يا مليك نسورا واجعل القلب يامليك المطارا
كن مع الشعب يا مليك قويا تبتنى المجد إن يكن جبارا
أمة النيل مبتلاة بقوم ألفوا المال والقلى والجوارا
عالم اليوم عالم من حديد أوقد النار وابتنى الأسوارا
أنت روح الجهاد مرنا تجدنا أسد غاب إذا الشقيق استجارا
ننصر الجار إنما الجار منا كشقيق يمل منا انتظارا

* * *

إنما الشام والعراق ومصر أخوة الخير يشبهون السوارا
أترى أنت فى المحافل عودا يطرب الجمع ناقصاً أوتارا
أترى أنت ذات دل وتيه تطلب العقد ناقصا أحجارا
يا شبابا لمصر هذا مليك بين جنبيه همسة لا تبارى
قلبه يا شباب قلب فتى عقله يا شباب عقل أنارا
أنا أخشى من الشباب قعودا يكسب الشعب والكنانة عارا

أنا والله يا شباب قمين لكم الخير إن عملتم جهارا
ارفعوا السيف لا تراعوا وعودا فوعود العدو كانت ستارا
يتقي الملك بالسيوف عزيزا مزقوا الستر وانظروا ما توارى

* * *

أنت مولاى لا سواك رجاء قد أسود الثرى أنلنا الفخارا
يا شباب وما جبانا أنادى قدسوا الملك واجعلوه الشعارا
أنت والمجد والبلاد سواء سوف يهدى إلى الجميع الثمارا

مغاغة

محمود جبر

obeikandl.com

شكر واجب

لن أنسى أن أشكر من أعماق قلبي، حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أحمد الشرباصي المدرس بالأزهر الشريف ، فهو الأديب البليغ ، والعالم النحرير ، والكاتب الكبير ، ومؤلف « حركة الكشف » و « محاولة » و « بين صديقين » و « نفحات من سيرة السيدة زينب » وصاحب مئات المقالات في الصحف والمجلات ، وهو أستاذي الذي أرشدني وهداني ، وهو الذي ساعدني كثيرا في إصدار هذا الكتاب بعد مراجعته له . ولا عجب فقد اشتهر بالأخلاق الفاضلة ، والعلم الوفير ، والأدب الغزير ، والخطابة الجذابة :

لقوله نشوة في النفس مسكرة من ذا يشابهه ؟ من ذا يضاهيه؟
حديثه كنسيم الصبح مؤتلقا وإن ترنم فاض السحر من فيه

وهأنذا أجعل مسك الختام في كتابي تحيته التي قدمها للملك المعظم فاروق الأول يوم تشرف بمصاحفته ومجاورته ومحادثته في حفلة أوائل الناجحين

تحية مصرى للملك

بقلم الأديب الكبير الأستاذ أحمد الشرباصى

« فى الحفلة الملكية السامية التى تفضل مولانا جلالة الملك المعظم (فاروق الأول) فدعا إليها أوائل خريجى الجامعات الأزهرية والفؤادية والفاروقية والمعاهد المصرية العليا عام ١٩٤٥ م »

مولدى يا فاروق ...

ياحلية الدهر وتاج العصر ، ياسلالة الأمجاد وباهر الأنداد ، ياسيد النيل وقائد الجيل ، ياولى الأمر ومجرى الخير ، ياظل الرحمن ومصدر الأمان ! . .

نضر الله باليمن جبينك ، وجعل تمام السعد قرينك . وعصم باليقين قلبك . وزان بالتقى والهدى أعمالك ، وحفك بالعناية والرعاية فى مغداك وأوبتك ؛ وجمع الخير كل الخير فى راحتك ؛

وزان بالمفاخر والمآثر حياتك ، وخص بالبقاء والخلود أفضالك ،
وزاد سلطانك عزاً وتأييداً بين العالمين ! .

لقد جئت لمصر على قدر من ربك، فتسلمت القياد وهى فى حين فترة من الجهاد ، فرددت على أمتك الوفية لك ما يرد النهار المشرق على الكون بعد طول الظلام . . . أحييت الموات وجمعت الشتات ووحدت الكلمات . . وردت إليها الشباب وجددت لها الإهاب وقرنتها بالصواب ! . . .

شهدت لك الأيام أنك عيدها للكحن موحشها ، وآب بعيدها
وأضاء مظلمها ، وأفرخ روعها وأطاع عاصيها ، ولان شديدها
وصنت بك الدنيا، فشب كبيرها في إثر ما قد كان شاب وليدها
ما كان أجمد قبل نوئك بحرها فالآن فجر بالندى جلمودها

☆ ☆ ☆

فهل تعلم يامولاى مقدار ما يكنه لك شعبك من الولاء والوفاء ، والخضوع والإجلال ؟ . . إن حبه لك عقيدة ، والتعلق

بعرشك عصمة وأمان ، وطاعتك نور وإيمان ، والهتاف باسمك أنشودة ، والحديث عن خصالك تغريد ... وإن صورتك يامولاى مرآة شعبك ، وصوتك مهوى قلوبهم وأمنياتهم ، وطلعتك جلاء أبصارهم وشمس حياتهم ، ويدك آسية جراحهم وسبب نعمتهم وبانية مجدهم ، وعرشك كعبتهم ومحرابهم ، وفيك يامولاى تجمع العز الأول والآخر ، فقد كنت بشير الحرية والسيادة ، وكنت مشرق العزة والقوة ... وأنت الذاكر لربك ، الناصر لدينك ، المجاهد الأول فى سبيل وطنك ، السباق إلى المكرمات ، الهادى إلى الباقيات ، وأنت الساعى إلى الرعية ، العطوف على الفقراء ، المشاطر فى البأساء ، المكرم للعلماء ، المقرب للنبغاء ، الموجه للكبراء ، المستعين بالصفوة الخلصاء ... إشارتك دونها كل إشارة ، ونطقك السامى دونه كل عبارة ، وأنت رمز الوطن ومعناه . فمنك يبدأ ، وإليك يعود ، وماعلى الله بعزيز ولا بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد!

* * *

وإذا كان ربك يامولاى قد أنعم عليك بكل هذه النعم ووفقك كل هذا التوفيق . وأنت لاتزال فى بكرة السن وضحوة الشباب ، فما أكثر ما نرجوه على يدك ، وما أعظم الآمال التى ستحققها لبلادك خلال حياتك المباركة المديدة ... ولا غروفأنت إمام الرعية وهاديها ، وأنت قائدها وراعيها ، إن أخذتها بهدى ربك أجابت ، وإن استنفرتها إلى ميادين العمل الصالح والسعى المشكور أقدمت وسارت ، فالناس على دين ملوكهم يامولاى ، وأنت المتبوع وكلهم تبع ، وأنت القدوة العليا وكلهم يحتذون ، فكن لهم القمر الساطع ، والبرهان القاطع ، والسيد الجامع ، فقد ولاك ربك قيادتهم ، وجعلك إمامهم العادل بينهم ، والإمام العادل يامولاى هو «قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف » ... فخذ بزمام أمتك يامولاى ، واهدها إلى سواء الصراط ، واجمع لها تحت لوائك

كلمتها ، وحقق لها سعادتها ، وجنبها على الدوام يامولاى عثرات الأيام ، وخطرات الأوهام ، وشطحات الأحلام ؛ وقد سفينتها المثقلة بالأحمال والتبعات ، وسط هذه الأمواج والأعاصير ، بحكمة وتدبير ، فأنت ربانها البصير ، وأنت بعون الله وتوفيقه خير الملوك ، وأفضل الحاكمين ! . .

* * *

أما بعد ، فهذا يامولاى يوم تكريمك للعلم والعلماء ، واحتفالك بالنابغين والنابغات ، ومعاهدتك لشباب أمتك على متابعة الجهاد من أجل الوطن فى كل ميدان ، وإن أكمام روضتك المصرية يامولاى قد تفتحت عن شباب كريم طاهر ، يعتمد بعد الله عليك ويرجع إليك ، وهو مؤمن بأن بلاده لابد لها من دين مع دولة ، ووطنية مع إنسانية ، وعزة مع تسامح ، ومعبد مع ثكنة ، ومدرسة بجوار مصنع ، لتحيا مصر الخالدة الحياة الكريمة اللائقة بماضيها من ماض مجيد ، وحاضر مشرق ، ومستقبل مأمول ! . .

وإننا نحن الشباب ، نأخذ على أنفسنا لقائدنا ميثاقا تباركه يد الله . بأن نرفع المشاعل فوق الطريق — كما أمرت يامولاى — وسنجعلها نوراً يضىء ، لاناراً تحرق ، ونشهد الله كما نشهدك يامولاى أننا سنسير فى طريقنا وقد أتممنا دراستنا ، لنخدم بلادنا تحت لوائك ما استطعنا ؛ ولأيدينا كل الشرف إذا ما وضعناها تحت يدكم الكريمة القوية الطاهرة ، فإنها يد الملك العظيم ويد الشاب الكريم ؛ ويد المصرى الأول الذى يؤمن بمصريته كما يؤمن بربه العلى القدير ! . .

* * *

وفى مقدمة الصفوف التى تلتف حول عرشك ، وتأتم بهديك ورشدك ، تسير الكتائب الأزهرية المستظلة بلوائك ، المظفرة المنتصرة بتوجيهك ، فإن الأزهر الشريف يامولاى : شيوخه وشبابه ، علماءه وطلابه ، يلوذون بحماك ، ليأمنوا الاضطراب ، ويتجنبوا الأعاصير ، ويؤدوا فى ظلالك ماحملوا من رسالة كريمة تهدى الناس أجمعين .

ولقد بايعوك على أن يكونوا لعرشك جنودا ، ولجهادك فى سبيل الله والوطن عدة وعديداً ؛ فسر يامولاى على بركة الله ؛ فإن الله يشهد ، والتاريخ يسجل « ولينصرن الله من ينصره ؛ إن الله لقوى عزيز » ! ! . .

المخلص الداعى لمولاه

أحمد الشرباصى

« الأول » فى الشهادة العالية لكلية اللغة العربية

و « الأول » فى شهادة العالمية وإجازة التخصص

فى التدريس لكليات الجامعة الأزهرية